الكويت: أيام لا تنسى[1]

معركة الجنس اللطيف داخل مجلس الأمة

في الملتقى الفكري الذي تفضلت بتنظيمه الدكتورة ميمونة الصباح وقفت أخت كريمة وقالت: إنها ألغت سفرها خصيصاً لتسألني عن موقفي من قرار مجلس الأمة بعدم الموافقة على الحقوق النسائية الانتخابية. لا حول ولا قوة إلا بالله! قلت لها: « يا أختي لماذا ألغيت سفرك؟ والحركة بركة»، وكان لا بُدّ من الجواب. وأنا، بطبعي، لا أحب أن أدخل بين الأخ وأخته، والزوج وزوجته، والشريك وشريكه، والشعب وبرلمانه. وفي مصر الشقيقة يقولون: «ما ينوب المخلّص غير تقطيع هدومه» وتفسيرها - يا سادة يا كرام - أنه أحياناً يمر عابر ملقوف، فيجد زوجاً يتشاجر مع زوجته، فيتدخل لإنهاء المشاجرة وهنا تعقد الزوجة المضروبة مع زوجها الضارب حلفاً سريعاً فورياً، وينقضّان على المتدخل

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

بالضرب المشترك حتى تتقطع هدومه. قلت لنفسي «يا رجال! أنت جاي ضيف! ليش تدخل نفسك في هذه الشرباكة؟». واستعنت بخبرة طويلة في النفاق الدبلوماسي والرياء السياسي، وأجبت إجابة غامضة (أرجو أن تكون غامضة)، مثل إجابات «حلاّم عنزة» - ولفائدة الجيل الجديد من القرّاء والقارئات إن كان هذا الجيل يقرأ ما أكتبه- أقول:

إن حلاّم عنزة كان رجلاً عجوزاً حكيماً في قبيلة عنزة - وكان يحلم أحلاماً كل ليلة ويدّعي أنها ستَصْدُق - ولكنه يصوغ أحلامه صياغة مطاطة مثل «الله ياشي بيجيكم شي عظيم!». فإذا أمطرت السماء قال: إن الشيء العظيم الذي تنبّأ به هو المطر، وإذا انتشر وباء قال: إن هذا هو الشيء العظيم الذي تنّبأ به. وقريب من قصة «حلاّم عنزة» قصة «بن مطيح» في الأحساء . وله أسلوب في تثمين البضائع لا يختلف عن أسلوب حلاّم عنزة. فإذا جاءه إنسان يطلب رأيه في قيمة بشت مثلاً، أطرق بن مطيح طويلاً ثم قال: «إن

قلت يسوي مئة ريال يسوي. وإن قلت يسوي ألف ريال يسوي. وإن قلت إنه ما يسوي ولا ريال ما يسوي» وهكذا استعنت بأسلوب «حلاّم عنزة» وفلسفة «بن مطيح» وأجبت عن سؤال الأخت الكريمة عن موقفي من مجلس الأمة - ولعلّها ندمت على إلغاء السفر وهي تستمع إلى جوابي الخالد: «إن قلت مجلس الأمة مو غلطان في رفضه الحقوق مو غلطان. وإن قلت: إنه غلطان غلطان» - والله أعلم بالصواب.

وفؤاد الهاشم وسؤال ما لو لازم

خلصنا من الأخت الكريمة وسؤالها الذي ألغت السفر من أجله لنقع في براثن صديقنا العزيز رئيس نادي المعجبين برئيس السلطة الفلسطينية فؤاد الهاشم الذي صمت دهراً ثم طلب الكلمة - وقال - سامحه الله! -: إنه تلقى ٣٠٠٠ استفسار من قرّاء وقارئات يستفهمون ويستفسرون عن هوية ليلى الخزيني التي ظهرت في رواية «شقة الحرية» ثم شُوّهت في المسلسل.

حسبي الله عليك يا فؤاد! ٣٠٠٠ تساؤل!! هل في الكويت ٣٠٠٠ شخص قرؤوا روايتي؟!

فكرت ثم فكرت ثم أجبته أن ليلى الخزيني من فئة «بدون» -وعندما تحل - بإذن الله - مشكلة البدون فسوف تدخل ليلى الخزيني معهم وتسترد هويتها الحقيقية، وحتى ذلك الحين يا عزيزي فؤاد ركّز على غزلك برئيس السلطة الفلسطينية، واترك عنك السؤال عن هويّات فلانة وفلتانة، واعلم - وفقك الله إلى رزّ لا يسمّن وجريش لا يسبب الكلوسترول - أن الشعراء يقولون ما لا يفعلون، أما الروائيون فهم أخسّ وأخسّ!

* * *

انطفت الكهرباء في ليلة الشعر والشعراء

كنت في السيارة مع الصديق القديم (وهو صديق قديم فعلاً لأني قابلته لأول مرة قبل ٣٠ سنة) الدكتور/ محمد الرميحي في طريقنا إلى الأمسية الشعرية التي دعوت نفسي إلى إقامتها على هامش معرض الكتاب.

وخلال الطريق بدأت تهاجمني هواجس سوداء. قلت «المحل بعيد - ومن سيذهب كل هذا المشوار للاستمتاع بطلعتي البهيّة؟» ثم خطر على بالي أنه مساء الأربعاء - والناس في الكويت يذهبون مساء الأربعاء من العاصمة ولا يعودون إلاّ مساء الجمعة - من الذي سيبقى لسماع أشعاري؟

في هذه الأثناء كان الصديق الرميحي يسأل بعض الزملاء في الموقع بالموبايل «ها إشلون؟» ويستمع قليلاً ثم يقول: «يتوافدون! يتوافدون!». إجابة دبلوماسية شأنها شأن أحلام صاحبنا «حلاّم عنزة» وتثمين صاحبنا «بن مطيح». لم يقل لي عدد المتوافدين ولا سرعة توافدهم.

وفي هذه الأثناء بدأ المطر يهطل بغزارة. توقيت ممتاز! كل الليالي الماضية صحو وليلة الأمسية طوفان منهمر من الماء! نظرت إلى الرميحي الذي يبدو أنه استطاع قراءة أفكاري فقال: «الخيمة قوية ما تخرّ!» خيمة ؟! بعد خيمة؟! تذكرت كلمة صديقي العزيز

الدكتور محمد جابر الأنصاري «هذا من توفيق الله في الخذلان» - وكلمة صديقي العزيز يوسف الشيراوي «شا الله غربلنا؟!». مطر. وبرد. ومساء أربعاء. وخيمة. والدكتور الرميحي يواصل الاتصال ويواصل الإجابات الدبلوماسية «يتوافدون! يتوافدون!».

عندما وصلت الخيمة برد قلبي فقد كانت ممتلئة بعشاق الشعر- أما أنا شخصياً فلا عشاق لي بطبيعة الحال - وقال من قال إن عددهم يقارب الألف. وما كدنا نبدأ حتى انطفت الكهرباء. وهاجمتني فكرة سوداء أخرى «الآن سينتهزون فرصة الظلام ويشردون» وساد الصمت إلا من حديث الدكتور أحمد الربعي وهو يحاضر مَن حوله عن الأمسية التي قرر فيها سقراط شُرب السُمّ بعد أن اتهموه بإفساد عقول النشء في أثينا - والدكتور الرميحي يطمئنني «شوط ! شوط!»

من حسن الحظ أن المطر زاد هطولاً فلم يكن من الواضح هل بقي الجمهور الكريم حُبّاً في الشعر أم

هرباً من المطر في الخارج -وأخيراً انتهى الدكتور الربعي من قصة سقراط وانتقل إلى أفلاطون وموقفه المتخلف من المرأة، وهنا أضاءت الكهرباء، وبدأت الأمسية، وشاع الدفء، وقرر الحاضرون الاعتصام حتى الصباح. ورأيت أنها فكرة عظيمة جداً وأن الجمهور العظيم الذي صمد للمطر والظلام والبرد وألغى رحلة «الويك إند» من أجلي يستحق أن أبقى من أجله حتى الصباح. وقبيل أن أعلن موافقتي على الاقتراح هجم عليَّ الدكتور الربعي وهمس في أذني: «يا معوّد! لا تزوّدها عاد! العشا بيبرد». وهكذا انتهت الأمسية بتدخل برلماني حال بين الجمهور وبين شاعرهم المفضَّل، وأخذني الدكتور الربعي إلى وليمة حافلة بما لذَّ وطاب من الأكلات الخليجية جعلتني أفكر في الأخ فؤاد الهاشم وأنشد:

آه لو كنت معي نختال عبره

فوق رزٍّ يطفح الهامور إثره

وجـــريشٍ يتـــمنى الثـــغـــرُ ثَغـــرهْ

أنا من ضـيَّع في الأكـلات عُـمـره..

غـــيـــر يوم لم يعـــد يَذكـــر غـــيـــرهْ

يـوم أن أكّلتـــــــهُ الـرّز وقِـــــــدرهْ

وفي هذه الأثناء كان الدكتور الربعي ينشدنا روائع الملاحم من شعر النبط.

أقول لصديقنا البرلماني النبطي الفيلسوف: «أنعم الله عليك!»

وأقـــول أيضـــاً: «إنك هازم الملذّات. ومـــفـــرّق الأمسيات. -فاذهب غفر الله لك - ولا أسقط لك اقتراحاً بقانون».

وقد كان هذا كله مساء أول ديسمبر - التاريخ المحفور في الذاكرة.

* * *

الرولكسات. وساعات أخريات

وبينما كنت أتجوّل في مجمع الصالحية جرّني الابن العزيز فواز القصيبي - وهو ابن أخي فهد وزوج ابنتي يارا- إلى محل بيع ساعات وهو، أي فواز، من أكبر خبراء الساعات، وخبراء السيارات والموتوسيكلات ومجموعة من الأشياء الغريبة تشمل الأعمام - جرّني إلى المحل وذهب يتفرج على الساعات ووقف طويلاً عند ساعة معينة وقال: «عمي! لماذا لا تشتريها؟» - قلت له: إني متعلق بساعتي الرولكس تعلقاً عاطفياً وتاريخياً طويلاً ولا أستطيع تغييرها.

وفي هذه الأثناء سمع البائع الكلام فما كان منه إلا أن قال: لا فُض فوه «في الكويت لا يلبس ساعات الرولكس غير الميكانيكيين». ضحك فواز، أمّا أنا فقد رمقت البائع بنظرة صفراء (يصعب تلوين النظرات من خلف النظارة الطبية) وقلت له مشيراً إلى الساعة التي أعجبت النسيب الحسيب:

- كم قيمتها؟

وذكر البائع مبلغاً رهيباً جعلني أتلعثم، ثم أقول:

- لا! لا! أنا ما ألبس الساعات الرخيصة!!

ووعدت نفسي إذا قرّرت مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي أن تهديني جائزتها بصفة شهرية أن أعود إلى المحل وأشتري الساعة التي أخبرني فوّاز أن اسمها «أدمر بيجي!».. وحتّى ذلك الحين فسوف أعتز بانضمامي إلى فئة الميكانيكيين الرولكسيين..

وهم - بالتأكيد - أفضل من العاطلين بالوراثة .. أو بالعصامية.

وقصيدة في الكاكاوه

أثناء خروجي من الأمسية الشعرية وجدت مجموعة من المعجبات الكريمات في آخر الخيمة وقد تجاوز عمر أصغرهن ٧٥ سنة - وأكبرت فيهن هذه الروح الشابة التي دفعتهن إلى اقتحام الأمطار والظلام للاستماع

إليّ، فـذهبت أسلم عليـهن - وتلطفت واحـدة منهن فقدمت لي حبة شيكولاته - قائلة:

- هذه الكاكاوه لك!

كاكاوه؟!

لم أسمع هذه الكلمة من قبل- وقلت:

- تقصدين الشيكولاته؟

قالت:

- شنو شيكولاته؟ هذه كاكاوه!!

استفدت معلومة جديدة وهي أن الشيكولاته تسمى في الكويت الكاكـاوه، وكنت حـتى لقـاء تلك السـيـدة الطيبة أعتقد أن الكاكاو بودرة تُخلط مع الحليب وتُقدّم للأطفـال قبل النوم حتى ينامـوا نومـاً هنيـئـاً من دون أحلام مزعجة.

قالت زميلة لها أكبر منها قليلاً تخاطبني:

- يا الله! عاد! اكتب لها قصيدة!

ووعدت بكتابة القصيدة..

obeikandl.com

وقبل النوم «نظمت» هذه «القصيدة»:

يا كاكاوه . . يا كاكاوه. .

يا أحلى من أي حلاوه

أحلى من أشهى بقلاوه

حمّرت القلب على تاوه

وأكلـــت منـــه بـهـداوه

أكلَ الجوعان «المهياوهْ».

ونمت تلك الليلة .. فـرأيت فـيـمـا يرى النائم أني ألبس ساعة «ادمر بيجي» .. وآكل كاكاوهْ . . وأن أحمد الربعي يعزّيني في موت سقراط.

وفي الختام

للكويت أقول:

نحن لا نلتقي إلا نادراً . .

ولكننا نجتمع كل لحظة . .

في كل فكرة تجمعنا . .

obeikandl.com

وفي كل ذكرى تربط بيننا . .

وفي كل أمسية من أمسيات الحنين . .

وفي كل يوم من أيام الاغتراب . .

إلى اللقاء أيتها الحسناء . .

ولا تقولي: وداعاً! . .

ولا تظني أنني سوف أنسى

فمن الأشياء ما لا يُنسى . .

obeikandl.com